[٣٥٩ – عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)].

يقول المصنف – رحمه الله –: **[عن عبدالله بن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: (أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة في الدماء)]** اشتمل هذا الحديث على التخويف من أمر الدماء وسفك الدماء المحرمة، حيث بين النبي ﷺ أن أول ما يكون من القصاص والمظالم يوم القيامة بين الخلق: الدماء، والمراد بالدماء: الاعتداء على الأنفس المظلومة – كما بينا –. وهذا الحديث فيه دليل على أمور، منها: إثبات يوم القيامة، والإيمان به من الإيمان باليوم الآخر، وقد دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومن أنكره فقد كفر بإجماع العلماء – رحمهم الله –.

والأمر الثاني: قوله: **[(أول ما يقضى فيه يوم القيامة)]** يدل على أن للقيامة عرصة، وهي: عرصة القضاء، والقيامة – كما قال عبدالله بن عباس – عرصات، بمعنى: أنها مواقف متعددة. وسميت قيامة؛ لأن الناس يقومون فيها لرب العالمين، ويقفون لحكومة إله الأولين والآخرين، حيث يقص الله الحق وهو خير الفاصلين، وعندها ينصف المظلوم ممن ظلمه، والمحروم ممن حرمه، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

وهذه العرصة عرصة القضاء، فهناك عرصات متعددة وردت في كتاب الله وسنة النبي ﷺ: عرصة الوقوف ودنو الشمس من الخلائق ثم شفاعة النبي ﷺ، ثم عرصة تتطاير فيها الكتب والصحف، ومنها: عرصة الخصومة، يقام الناس للمظالم، ويقتص الله ﷻ من كل ظالم حتى البهيمة التي تؤذي أختها: فإن الله يقتص من القرناء للبهيمة الجلحاء؛ لأن الله ﷻ لن يترك الظالم في ظلمه. ولذلك يقتص من البهائم، ثم يقال لها: "كوني ترابًا" فإذا رأى الكافر ذلك تمنى أن يكون بهيمة، فيقول: ﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾. وهذه العرصة عرصة القضاء في الدماء من عرصات يوم القيامة، استشكل العلماء – رحمهم الله – هذا الحديث مع غيره من الأحاديث الأخر، والصحيح: أن عرصة القضاء

والفصل على أحوال، منها: أحوال القصاص في المظالم، فأول ما يقضى ويقتص فيه: مسائل الدماء، وهذا يدل على ما ذكرناه من الوعيد الشديد في انتهاك حرمة دم المسلم، وسفك الدم بغير حق.

وذكر بعض العلماء: أنه لو قُتل القاتل فإنه لا يزال للمقتول حق، وأنه يأتي يوم القيامة ملببًا من قتله، يصيح بين يدي ربه ويقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ ويرمي برأسه بين يديه. والذي أنطق الجماد، وخلق الإنسان من طين قادر أن يجعل الإنسان يمسك رأسه بين يديه! وهو على كل شيء قديد. أهوال وشدائد تشيب منها الولدان ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾. فيأتي المقتول إلى ربه ملببًا قاتله، قالوا: ولو قُتل واقتص منه، قالوا: هذا القصاص كفارة – كما أخبر النبي ﷺ – في الدنيا، لكن حرمان هذا الشخص، وحرمانه من الزيادة من الخير والأجر، قالوا: هذا له حقه فيه. والله ﷻ إذا علم توبة القاتل وإنابته: قد يحلل ويرضي المقتول بما يرضيه – سبحانه –، ولذلك يعجب العبد حينما يدخل القاتل والمقتول الجنة. فيقتل القاتل، فيصبح المقتول شهيدًا: فيدخله الله الجنة؛ لأنه قتل بظلم. ثم يتوب القاتل، فيتوب الله عليه ويصلح حاله، ثم يرضي الله المقتول ممن قتله، فيقال: "خذ بيد أخيك وادخلا الجنة" كرمًا من الله ﷻ، ورحمة من الله ﷻ وتفضل على من تاب وحسنت توبته وصلح حاله.

وفي قوله: **[(أول ما يقضى فيه بين الناس الدماء)]** عموم استدل به على مذهب من يقول: إنه لا يزال حق المقتول محفوظًا. وقال بعض العلماء: إن المراد بهذا: من قتل ولم يؤخذ بحقه في الدنيا، فإنه يوم القيامة يأخذ حقه، وهذا بالإجماع أنه داخل في هذا الحديث؛ لأنه بقي له حق. لكن ظاهر الحديث العموم: يشمل الصورة الأولى – في ما لو إذا اقتُص منه –، والصورة الثانية أيضًا؛ لأن الخبر عام.